ISSN online: 2791-2272 ISSN print: 2791-2264
مجلة العصر للعلوم الانسانية والاجتماع
Era Journal for Humanities and Sociology
www.ejhas.com editor@ejhas.com
Volume (11) December 2023 العدد (11) ديسمبر 2023

منزلة علم الموسيقى عند الكندي والفارابي

المصطفى عبدون
طالب باحث بمركز الدراسات في الدكتوراه "الفلسفة والمجتمع"، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب
البريد الالكتروني: abidoune62@yahoo.fr

الملخص

اهتم الفلاسفة المسلمون بالموسيقى حيث جعلوا منها فنا يقوم على أسس العلم. سنحاول في هذا المقال التطرق لأعمالهم التأسيسية الأولى لعلم الموسيقى خاصة مع الكندي والفارابي. إن أقدم الرسائل العربية العلمية في الموسيقى هي رسائل ومؤلفات الفيلسوف الكندي الذي يعتبر أول من أدخل الموسيقى إلى الثقافة العربية، فأصبحت ضمن مناهج الدراسة العلمية وجزء من الفلسفة الرياضية. تطورت مدرسة الكندي مع الفارابي الذي وضع أسس علم الموسيقى بوصفه معرفة نظرية وصناعة إنشائية. من أشهرمؤلفاته: *"كتاب الموسيقى الكبير"*. أصبحت الموسيقى موضوعا للعلم في منتصف القرن التاسع عشر حيث ستتوج بظهور التأسيس الفعلي للموسيقولوجيا التي ستتفرع إلى علوم وتخصصات متنوعة ومتشعبة طورت مناهجها العلمية في الدراسة والتحليل.

الكلمات المفتاحية: فلسفة الموسيقى، علم الموسيقى، الموسيقى النظرية، الموسيقى العملية.

DOI: https://doi.org/10.33193/eJHAS.11.2023.287

ISSN online: 2791-2272 ISSN print: 2791-2264
مجلة العصر للعلوم الانسانية والاجتماع
Era Journal for Humanities and Sociology
www.ejhas.com editor@ejhas.com
Volume (11) December 2023 العدد (11) ديسمبر 2023

The Status of Musicology for Al-Kindi and Al-Farabi

El Mostafa ABIDOUNE
Research student at the Center for Studies in Ph.D. Philosophy and Society, Faculty of Letters and Human Sciences, Ibn Tofail University, Kenitra, Morocco
Email: abidoune62@yahoo.fr

ABSTRACT

Muslim philosophers were interested in music, because they made it an art based on science. In this article, we will try to approach their first foundational works of musicology, especially with al-Kindi and al-Farabi. The oldest scholar treatises on Arabic music are the authoresses and works of the philosopher Al-Kindi who is considered the first to introduce music to Arab culture, which became a component of scientific study programs and mathematical philosophy. The Al-Kindi school was developed later by Al-Farabi who established the foundations of musicology as constructive theoretical and practical knowledge, one of his most famous books is: "*The Big Book of Music"*. Music became a scientific subject by the middle of the 19th century with the emergence and the effective foundation of musicology, which would has branched out into various and complex sciences and disciplines, which developed that developed their scientific methods of study and analysis.

Keywords : Music philosophy, musicology, theoretical music, practical music.

DOI: https://doi.org/10.33193/eJHAS.11.2023.287

ISSN online: 2791-2272 ISSN print: 2791-2264
مجلة العصر للعلوم الانسانية والاجتماع
Era Journal for Humanities and Sociology
www.ejhas.com editor@ejhas.com
Volume (11) December 2023 العدد (11) ديسمبر 2023

مقدمة

شكلت العلاقة بين فلسفة والموسيقى موضوعا هاما للباحثين المعاصرين حيث عرض "جوليوس يورتنوى" في كتابه "الفيلسوف وفن الموسيقى" (1) (بورتنوي، 2004، ص5) العلاقة بين آراء الفلاسفة وتطور الموسيقى على مر العصور، وذلك لأنه من المألوف أن تجد دراسات تكتب عن فلسفة الموسيقى، أو عن آراء فلاسفة معينين أو مدارس فلسفية خاصة في الموسيقى؛ أما تأثير الفلسفة ذاتها في مجرى الموسيقى، فهو موضوع لم يكتب فيه الكثير من قبل، ولعل السبب الأكبر في ندرة ما كُتب عن هذا الموضوع هو الاعتقاد الذي يسود معظم الأذهان بأن تطور الموسيقى سار مستقلًا عن أفكار الفلاسفة ولم يتأثر بها على الإطلاق. تطرق "جوليوس يورتنوى" للفلسفة اليونانية وفن الموسيقى، والموسيقى في العصور الوسطى وعصر النهضة، وتعرض للموسيقى البروتستانتية والفلسفة الجمالية في عصر الباروك، كما تناول المذهب العقلي والتنوير والعصر الكلاسيكي في الموسيقى، بالإضافة للرومانتيكية وفن الموسيقى، والفلسفات الموسيقية في العصر الحاضر، كذلك وضح معايير الفلسفة الجمالية في الموسيقى.

إلا أن هذه الدراسة والدراسات الغربية الأخرى، لم تهتم كثيرا بالفلاسفة المسلمين وخاصة في المجال الموسيقي على الرغم من أن الكندي كان من أوائل الذين وضعوا القواعد الموسيقية العربية، وجعلوا منها فنا يقوم على أسس العلم. توجه علماء وفلاسفة الإسلام إلى النظر في الموسيقى باعتبارها علما، فصنفوا فيها الكتب والرسائل واعتبروا الموسيقى علما رياضيا يبحث في النغم. اشتهر منهم الفارابي وقد عرض ذلك في إطار البحث عن الطريق المؤدية إلى مبادئ علم الموسيقى في المدخل من "كتاب الموسيقى الكبير" وكانت لابن سينا اهتماماتٍ موسيقية كبيرة، ففي كتبه الشهيرة ذات الطابع الموسوعي: "الشفاء" و"النجاة" و"داتش نامه" أي (كتاب المعرفة) وغيرها من المؤلفات أفرد فيها فصولاً عن الموسيقى.

يُعرِّف ابن سينا الموسيقى بأنها "علمٌ رياضي يُبحث فيه عن أحوال النغم من حيث تأتلف وتتنافر، وأحوال الأزمنة المتخلِّلة بينها ليَعلم كيف يُؤلّف اللحن. وقد دلَّ حد الموسيقى على أنه يشتمل على بحثين: الأول البحث عن أحوال النغم أنفسها، وهو يختص بالتأليف، والثاني البحث عن أحوال الأزمنة المتخلِّلة بينها وهو يختص بعلم الإيقاع. ولكل واحد منهما مبادئ من علوم أخرى ومن تلك المبادئ ما هو عددي ومنها ما طبيعي ويوشك أن يقع فيه ما هو هندسي في قليل من الأحوال." (2) (ابن سينا ، تحقيق يوسف، 1956، ص9)

بلغ الاهتمام بالموسيقى ذروته مع إخوان الصفا بشكل مفصل "في رسالة الموسيقى وهي جزء من القسم الرابع من رسائل إخوان المؤلفة من أثنين وخمسين رسالة والتي يتحدثوا فيها عن مفهوم الموسيقى وأنواعها ودلالاتها وأنواع الصوت والأنغام والآلات الموسيقية." (3) (غازي أسعد، https://www.iasj.net/iasj?func=article&aId=124936، ص ص 35-54) ويعد صفي الدين الأرموي أول منظر موسيقي مهم يظهر بعد ابن زيله من بين المنظرين الموسيقيين الذين وصلت إلينا مؤلفاتهم. فقد وضع الأرموي أساس المدرسة المنهجية الموسيقية. وأشهر مؤلفاته في هذا المجال رسالتان هما: "كتاب الأدوار في معرفة النغم والأدوار" و "الرسالة الشرفية في علم النسب التأليفية والأوزان الإيقاعية". وتتميز هاتان الرسالتان، قبل كل شيء بتوسيع نظام السلم الموسيقي الفيثاغوري بطريقة فيها تعمق وتعقيد. (4) (غازي أسعد، https://www.iasj.net/iasj?func=article&aId=124936، ص ص 35-54).

سنعرض في هذا المقال لأهم آراء فلاسفة الإسلام حول منزلة الموسيقى في الفكر الفلسفي والعلمي. سيتم تسليط الضوء على الأعمال التأسيسية الأولى لعلم الموسيقى حيث سنقتصر فقط على الفيلسوفين الكندي والفارابي.

المبحث الأول: الكندي فيلسوف الموسيقى

يعتبر أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي (5) أول من أدخل الموسيقى إلى الثقافة العربية، "فأصبحت ضمن مناهج الدراسة العلمية، وجزء من الفلسفة الرياضية، وكان هذا بطبيعة الحال نتيجة التأثر بالمدرسة الإغريقية، بما نقله العرب من العلوم اليونانية إلى العربية في مختلف نواحي المعرفة ومنها الموسيقى" (6) (تحقيق يوسف،

DOI: https://doi.org/10.33193/eJHAS.11.2023.287

ISSN online: 2791-2272 ISSN print: 2791-2264
مجلة العصر للعلوم الانسانية والاجتماع
Era Journal for Humanities and Sociology
www.ejhas.com editor@ejhas.com
Volume (11) December 2023 العدد (11) ديسمبر 2023

1962، ص 4). كان الكندي صاحب أول مدرسة للموسيقى في الإسلام، كما كان إسحاق الموصلي صاحب أول مدرسة للغناء. وضع الكندي "قواعد للموسيقى في العالم العربي والإسلامي فشق الطريق أمام الفارابي ثم ابن سينا وهما اللذان تطورا بهذا العلم، وهذباه، حتى انتهى عند الشيخ الرئيس إلى أن يصبح علما بمعنى الكلمة" (7) (فؤاد الأهواني، 2004، ص ص 161_165)، فصارت كلمة موسيقى باللغة العربية تعني علم الموسيقى "Musicologie" بينما كلمة الغناء التي كانت قديما تعني أداء الألحان والموسيقى بصفة عامة، صارت تطلق على الفن العملي فقط.

تسند إلى الفيلسوف الكندي أربعة رسائل موسيقية أبرزها: "رسالة في خبر صناعة التأليف" و"كتاب في المصوتات الوترية"، و"رسالة في أجزاء خبرية في الموسيقى" وكتاب "مختصر الموسيقى في اللحون النغم وصنعة العود". "كان الكندي خاضعا لتآلفيه الموسيقية لفائدة المتعلمين، وتسهيل حصولهم العلم الذي يكتب فيه لهم، فإذا كان العلم صنعة كالموسيقى، الغاية منها خدمة المغنيين، فلا غرابة أن يمزج العلم بالفن، وأن يفسح المجال للصنعة التكنولوجية مجالا لهذه التآليف. ولهذا السبب أطال في وصف الآلة التي يعزف الموسيقار أو المغني عليها، وهي العود، من تركيبها وهيئتها، ووضع الأوتار والدساتين عليها وكيفية انتقال الأصابع بالغفق والضرب." (8) (فؤاد الأهواني، 2004، ص 166).

أراد الفيلسوف الكندي أن يسلك طريقا مغايرا للعادة الجارية لتعم الصنعة واكتسابها عن طريق السمع والنظر، وهو الطريق العلمي القائم على التعليل واستخلاص الأصول النظرية، "لهذا يتناول الكندي موضوع الموسيقى من مختلف النواحي: النغمات ما يتفق منها وما يتنافر عند التأليف، الإيقاعات وعدد نقراتها وما يوافق كل منها من الألحان، أثر الموسيقى في النفس وما تبعثه ألحانها فيها من سرور وحزن وشجاعة، أثر الألحان المختلفة في الصحة والأمزجة، المناسبة بين الأوتار والنغمات والأجرام السماوية وغير ذلك، فيضع لكل هذه الأمور التي ينبغي أن يسر بموجبها الموسيقار الباهر، مؤيدا أقواله بالبراهين الرياضية والأدلة المنطقية." (9) (تحقيق يوسف، 1962، ص 4)

ويقول في مستهل رسالة "في أجزاء خبرية في الموسيقى" "سألت - أباح الله لك الخيرات - إيضاح أصناف الإيقاعات وكمّيّتها، وكيفيّة ترتيبها وأزمانها، وكيفيّة استعمال الموسيقى لها في الزّمن المحتاج إليها فيه، إذ كان أهل هذا العصر من أهل هذه الصّناعة الأغلب عليهم فيها لزوم العادة لطلب موافقة من حضرهم عند استعمالهم لها، وترك الأوجب في ترتيب ما جرت عليه عادة الفلاسفة المتقدّمين من اليونانيّين من استعمالها على حسب التّرتيب الأوجب فيها. فرأيت إجابتك إلى ذلك..." (10) (الكِنْدِي، 1961، 4http://www.saramusik.org)، ولذلك جاء في رسالة ديباجة "المصوتات الوترية"، أنه يريد إيضاح العلة في المصوتات المطربة، كمية أوتارها التي تشد عليها، كيفية ترتيبها، أصناف الإيقاعات، وأزمان النقرات.

قد خصص الكندي رسالة كاملة لآلة العود سماها "رِسَالَةُ فِي اللُّحُونِ وَالنَّغَمِ" (11) (الكندي، تحقيق يوسف، 1965)، تتكون هذه الرسالة من مقدمة، وثلاثة مقالات عبر عنها "بالفنون" حيث ميز بين ثلاثة فنون: "الفنُّ الأَوَّلُ مِنْهَا مَعْرِفَةُ مَقَادِيرِ أَبْعَادِهَا فِي تَرْكِيبِهَا، أَعْنِي طُولَهَا وَعَرْضَهَا وَعُمْقَهَا مَعَ وُقُوعِ الأَوْتَارِ عَلَيْهَا وَتَرْكِيبِ الدَّسَاتِينِ عَلَى حَقِيقَةِ مَا يَجِبُ فِي مَوَاضِعِهَا وَكَمَالِ صَنْعَتِهَا. أَمَّا الفَنُّ الثَّانِي فَمَعْرِفَةُ الأَوْتَارِ وَنِسْبَةِ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ وَمِقْدَارِ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ وَمَعْرِفَةِ كَمِّيَّةِ النَّغَمِ وَتَنَاسُبِ المُتَنَاسِبَةِ مِنْهَا وَائْتِلَافِهَا وَاخْتِلَافِهَا وَمَعْرِفَةِ المُذَكَّرَةِ مِنْهَا وَالمُؤَنَّثَةِ وَجَمِيعِ أَسْبَابِهَا مَعَ عِلَلِ جَمِيعِ ذَلِكَ وَمَعْرِفَةِ النِّسْوِيَةِ العُظْمَى وَالنِّسْوِيَاتِ البَاقِيَةِ المَعْلُومَةِ عِنْدَ الضُّرَّابِ.(12) (الكِنْدِي، 1965، 4http://www.saramusik.org) "وأَمَّا الفَنُّ الثَّالِثُ فَمَعْرِفَةُ حَرَكَةِ الأَصَابِعِ عَلَى الدَّسَاتِينِ وَالأَوْتَارِ لِيَأْلَفَ ذَلِكَ مَنْ لَمْ يَرْتَضِ فِي هَذِهِ الآلَةِ وَيَعْتَادَ أَنْ تَقَعَ أَصَابِعُ يَدِهِ اليُسْرَى فِي المَوَاضِعِ الوَاجِبَةِ لِكُلِّ أصبع مِنْ كُلِّ دَسْتَانٍ مَعَ مُوَافَقَةِ اليُمْنَى فِي حَثِّهَا الأَوْتَارَ وَأَحْكَامِ الحَرَكَاتِ وَالمَقَاطِعِ." (13) (الكِنْدِي، 1965، 4http://www.saramusik.org).

عالج الكندي في الفن الثاني أو البعد الثاني للعود صناعة الأوتار. كانت أوتار العود في القرن الرابع الهجري تصنع من الحرير، إلا أن الكندي يرى أن تصنع من الأمعاء بالنسبة للبم والمثلث، والإبرسيم أي من الحرير

DOI: https://doi.org/10.33193/eJHAS.11.2023.287

ISSN online: 2791-2272 ISSN print: 2791-2264
مجلة العصر للعلوم الانسانية والاجتماع
Era Journal for Humanities and Sociology
www.ejhas.com editor@ejhas.com
Volume (11) December 2023 العدد (11) ديسمبر 2023

بالنسبة للمثنى والزير. وحجته في ذلك أن نغمة البم والمثلث غليظة تتماشى مع التركيبة الفيزيائية لمادة الأمعاء. أما بالنسبة للمثنى والزير فقط وقع الاختيار على مادة الإبرسيم لما تمنحه من صفاء للرنين مقارنة بالمواد الأخرى. أما الأَوْتَارُ فَهِيَ أَرْبَعَةٌ، أَوَّلُهَا البَمُّ وَهُوَ وَتَرٌ مِنْ مَعَاءٍ دَقِيقٍ مُتَسَاوِي الأَجْزَاءِ وَلَيْسَ فِيهِ مَوْضِعٌ أَغْلَظُ وَلَا أَدَقُّ مِنْ مَوْضِعٍ، ثُمَّ طُوِيَ حَتَّى صَارَ أَرْبَعَ طَبَقَاتٍ وَفُتِلَ فَتْلًا جَيِّدًا. وَبَعْدَهُ المَثْلَثُ، وَسَبِيلُهُ سَبِيلُ البَمِّ غَيْرَ أَنَّهُ مِنْ ثَلَاثِ طَبَقَاتٍ. وبعد المثنى، وهو أيضا أقلّ من المثلث بطبقة -وهو من طبقتين -غير أنّه من إبرسيم، حتّى فتل فصار في قياس الطّبقتين من المعاء في الغلظ. وبعده الزّير وهو أيضا أقلّ من المثنى بطبقة واحدة -وهي أن يكون من طبقة واحدة -وهو من إبرسيم في حال طبقة من طبقات المعاء.

يعلل الكندي عدد الأوتار بتجانسها مع الإنسان ثم مع حواسه، فيقول بأن العدد أربعة ناتج عن تناسبه مع فضائل الإنسان الأربعة وهي: الحكمة والعفة والنجدة والعدل. وعناصر الإيقاع أربعة، خفيف وثقيل ورمل وهزج. وأن الأصابع التي تقع على الأوتار أربعة، وأن أوتار العود أربعة تصبغ بالألوان التي انبنى عليها جسد الإنسان. وهي كما ذكر الكندي أربعة: الأصفر والأحمر والأبيض والأسود. (14) (كمون، ص7، https://bit.ly/3reUaNg)

لقد كان الكندي أسبق من الفارابي في وصف آلة العود. فأوتاره أربعة من الغلظ إلى الحدة، وهي البم وتسمى بالعشيران (لا)، والمثلث هو الدوكاه (ري)، والمثنى أو النوا (صول) والزير وهو الكردان(دو). كان العود يتركب بالفعل من أربعة أوتار، ولكن الكندي أضاف إليه نظريا وترا خامسا، وهو "الزير الثاني". ويختص كل وتر بستة أصوات أولها مطلق الوتر، وتستخرج الأصوات الباقية بالعفق بواسطة الأصابع على هذا الترتيب: السبابة، والوسطى، والبنصر، والخنصر ونغمة الخنصر في كل وتر تكون على بعد ذي الأربع من مطلقه، وهو نفس مطلق الوتر الذي يليه وتتكرر النغمات في الجمع الثاني (أي الأوكتاف الثاني) على نفس ترتيب الجمع الأول وبمسمياته" (15) (فؤاد الأهواني، 2004، ص 171). فلما أصبح عدد الأوتار خمسة حاول الكندي تفسير ذلك بالتشابه الموجود بين العدد خمسة وعدد الحواس الباطنية وهي كالآتي: الفكر والذكر والذهن والتمييز والإدراك، كما أشار إلى تشابهها مع عدد الكواكب، وكذلك عدد الأصابع الخمس. ثم أشار الكندي في نفس هذه الرسالة (كتاب المصوتات الوترية من ذات الوتر الواحد إلى ذات الأوتار العشرة) إلى التسلسل التاريخي لظهور آلة العود. (16) (كمون، ص7، https://bit.ly/3reUaNg).

المبحث الثاني: الألحان والإيقاع وفق الكندي

يقسم الكندي الموسيقى إلى بابين كبيرين: الألحان والإيقاع، أما الألحان فهي المتتالي واللامتتالي، ويشير الكندي في رسالته "في خبر التأليف" إلى أنواع تأليف الألحان، فيذكر لنا ستة أنواع من البناء اللحني، وذلك بعد أن يشرح هذه الأنواع فيميز بين النوع الأول المتتالي والنوع الثاني اللامتتالي ويقسمهم إلى قسمين، ويعود للنوع الأول من الثاني "اللَّوْلَبِي" ويقسمه إلى قسمين ويفعل ذلك مع الضفير. "أَمَّا المُتَتَالِي، فَكَالابْتِدَاءِ مِنْ نَغْمَةٍ، ثُمَّ التَّزَيُّدُ فِي الحِدَّةِ أَوِ النُّقْلِ عَلَى اسْتِقَامَةٍ ومنه الصاعد والنازل. وَأَمَّا اللَّامُتَتَالِي فَيَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ: أَحَدُهُمَا "اللَّوْلَبِي"، وَالآخَرُ الضفير. واللولبي منه الداخل ومنه الخارج والضفير منه منفصل ومنه مشتبك"(17) (الكِنْدِي، 1962، http://www.saramusik.org4).

يعرف الكندي الموسيقى بأنها فن تأليف النغم، وهي تنقسم إلى بابين كبيرين هما الألحان والإيقاع. الألحان ثلاثة أقسام هي الطربي، والأقدامي، والشجوي. فالطربي يلائم اللهو والتلذذ و التنغم، بينما الأقدامي (الجريء كما يسميه أحياناً) يبعث الجرأة والنجدة والبأس والإقدام، أما الشجوي فيناسب البكاء والحزن والنوح والرقاد الشجيّة، وليست كل الألحان تناسب جميع أوقات اليوم وكل الأعمار ويرى في رسائله أنّ للطفولة ألحانها، وللشباب والشيخوخة ألحاناً كذلك، وهناك ألحان في الصيف والشتاء وألحان للصباح والمساء والليل وهكذا، كما تناول أيضاً الألحان من المنظور الطبي، فبيَّن أنّ الألحان تُؤثر في الجسم فتساعد على الهضم، متناولاً النغمات والأوتار والإيقاعات ذاكراً ما يُفيد منها أعضاء جسم الإنسان، مُؤكداً تأثيرها على الرُّوح والبدن معاً.

DOI: https://doi.org/10.33193/eJHAS.11.2023.287

ISSN online: 2791-2272 ISSN print: 2791-2264
مجلة العصر للعلوم الانسانية والاجتماع
Era Journal for Humanities and Sociology
www.ejhas.com editor@ejhas.com
Volume (11) December 2023 العدد (11) ديسمبر 2023

اهتم الفيلسوف الكندي بتصنيف الإيقاعات وتأثيراتها النفسية ويتعلق الأمر بالإيقاعات الثمانية، الانتقال من إيقاع إلى إيقاع، علاقة الإيقاعات بالأشعار وزمان اليوم. ففي أول النهار يناسبه الإيقاعات المجدية والكرامية والجودية، بينما تناسب الإيقاعات الأقدامية والبأسية كالماخوري وسط النهار عند قوة النفس، أما الإيقاعات الطربية والسرورية مثل الأهزاج والأرمال والخفيف فتناسب آخر النهار، بينما تناسب الإيقاعات الشجوية بدايات النوم. فتنقسم بثمانية إيقاعات وهي: الثّقيل الأوّل، الثّقيل الثّاني، الماخوري، خفيف الثّقيل، الرّمل، خفيف الرّمل، خفيف الخفيف، الهزج. ويوضح الكندي الإيقاعات الثمانية على النحو التالي: (18) (الكِنْدِي، 1961، 4http://www.saramusik.org)

أمّا الثّقيل الأوّل فثلاث نقرات متواليات، ثمّ نقرة ساكنة، ثمّ يعود الإيقاع كما ابتدئ به.

–والثّقيل الثّاني ثلاث نقرات متواليات، ثمّ نقرة ساكنة، ثمّ نقرة متحرّكة، ثمّ يعود الإيقاع كما ابتدئ به.

–الماخوري نقرتان متواليتان لا يمكن أن يكون بينهما زمان نقرة، ونقرة منفردة وبين وضعه ورفعه، ورفعه ووضعه زمان نقرة.

–وخفيف الثّقيل ثلاث نقرات متواليات لا يمكن أن يكون بين واحدة منها زمان نقرة، وبين كلّ ثلاث نقرات وثلاث نقرات زمان نقرة.

–والرّمل نقرة منفردة، ونقرتان متواليتان لا يمكن بينهما زمان نقرة، وبين رفعه ووضعه ورفعه زمان نقرة.

–وخفيف الرّمل ثلاث نقرات متحرّكات، ثمّ يعود الإيقاع كما ابتدئ به.

–وخفيف الخفيف نقرتان متواليتان لا يمكن بينهما زمان نقرة، وبين كلّ نقرتين ونقرتين زمان نقرة.

–والهزج نقرتان متواليتان لا يمكن بينهما زمان نقرة، وبين كلّ نقرتين ونقرتين زمان نقرتين.

لحركات الأوتار علاقة بحركات النّفس وانتقالها من حال إلى حال حركات الزّير في أفعال النّفس: الأفعال الفرحيّة والعزّية والغلبيّة وقساوة القلب والجرأة وما أشبهها، وهو مناسب لطبع الماخوري وما شاكله... وممّا يلزم المثلث من ذلك: الأفعال الحنينة والمراثي والحزن وأنواع البكاء وأشكال التّضرّع وما أشبه ذلك، وهو مناسب للثّقيل الممتدّ... فمزاج الزّير والمثلث كممازجة الشّجاعة والجبن وهو الاعتدال، وكذلك [يحصل] بينهما ائتلاف مزاج الزّير والمثلث كممازجة الشّجاعة والجبن وهو الاعتدال، وكذلك [يحصل] بينهما ائتلاف. وممازجة المثنى والبمّ كممازجة السّرور والحزن وهو الاعتدال، وكذلك [يحصل بينهما] ائتلاف".(19) (الكِنْدِي، 1961، 4http://www.saramusik.org) أما عن أنواع التأليف وتأثيره على النفس، فيَقُولُ: إنَّ التَّأْلِيفَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنَ النَّوْعِ الَّذِي يُسَمَّى «البَسْطِي»، وَإِمَّا مِنَ النَّوْعِ الَّذِي يُسَمَّى «القَبْضِي»، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنَ النَّوْعِ الَّذِي يُسَمَّى «المُعْتَدِلَ». أَمَّا القَبْضِيُّ، فَالنَّوْعُ المُحْزِنُ؛ وَأَمَّا البَسْطِيُّ فَالمُحَرِّكُ المُطْرِبُ، وَأَمَّا المُعْتَدِلُ فَالمُحَرِّكُ الجَلَالَةَ وَالكَرَمَ وَالمَدْحَ الجَمِيلَ المُسْتَجَاد." (20) (الكِنْدِي، 1962، 4http://www.saramusik.org).

وعلى الرغم من أنه بدل أقصى جهده في الوصف النظري، إلا أن الكندي يعترف أن التجربة والمشاهدة والممارسة أنفع للمتعلمين وأن فنون التعلم موجودة عند أهل هذه الصناعة، وآخذها عنهم، وتعلمها نظرا، وانتقالها، أسرع وأقرب منها إلى الفهم منها من الكتاب. فالموسيقار البارع حسب الكندي الباهر الفيلسوف يعرف ما يشاكل كل من يلتمس أطرابه من صنوف الإيقاع والنغم والشعر، مثل حاجة الفيلسوف الطبيب إلى أن يعرف أحوال من يلتمس علاجه أو حفظ صحته. فالموسيقى معرفة لابد من اكتسابها بالدرس والتحصيل، وكما يتحتم على الطبيب أن يأخذ بنظر اعتبار أمورا كثيرة قبل أن يهيئ العلاج، كذلك يتحتم على الموسيقار أن يفعل قبل أن يضع الألحان، "فالكندي لا ينظر إلى الموسيقى في ذاتها، بل يعدها وسيلة لتحقيق غاية إنسانية أعلى"(21) (فؤاد الأهواني، 2004، ص 188).

ظهر أول تدوين موسيقي عربي مع أبو إسحاق الكندي، في رسالته "رسالة في خبر تأليف الألحان"، حيث استعمل، لأول مرة، الحروف الأبجديّة والرموز. غير أن محمد أبي نصر الفارابي، ترك الكثير من المؤلفات في

DOI: https://doi.org/10.33193/eJHAS.11.2023.287

ISSN online: 2791-2272 ISSN print: 2791-2264
مجلة العصر للعلوم الانسانية والاجتماع
Era Journal for Humanities and Sociology
www.ejhas.com editor@ejhas.com
Volume (11) December 2023 العدد (11) ديسمبر 2023

الموسيقى منها: "كتاب الموسيقى الكبير"، كتاب في إحصاء الإيقاع، رسالة في قوانين صناعة الشعراء، كلام في النقلة، مضافًا إلى الإيقاع، وكلام في الموسيقى، وكتاب إحصاء العلوم الذي يتضمن جزءًا خاصًا بعلم الموسيقى. والواضح أن كتابه "الموسيقي الكبير" (22)، هو المتبقي حاليًا في التراث الموسيقي العربي -والذي ترجم إلى لغات أجنبيّة عدة -كمؤلَفٍ يعطينا صورة متكاملة عن البُعد الفكري العميق لفلسفته في الموسيقى.

المبحث الثالث: الفارابي وإحصاء العلوم

أولى الفارابي موضوع تصنيف العلوم اهتماما كبيرا، فقد حاول أن يحصي العلوم المعروفة في عصره ومجتمعه، أي في القرن العشر الميلادي، حيث ترجمت قبل ذلك الكتب العلمية والفلسفية إلى اللغة العربية عن اليونانية والسريانية والفارسية والهندية، وهي مجالات معرفية لم يعرفها العرب من قبل. إن وفرة المؤلفات المتعددة والمتنوعة العلمية والفلسفية والفنية، كانت هي "الدافع الأبرز الذي حفز الفارابي لإحصاء العلوم الذي يقتضي وجود موضوعه، وتنوعه، وكثرته وثرائه، لأن ما هو قليل ومحصور لا يتطلب عملية إحصاء". (23) (الفارابي، 1996، ص 6). ويبرر الفارابي منطلقه في ترتيب العلوم قائلا: "وهذه العلوم التي حال مقدماتها هذه الحال هي العلم الطبيعي والعلم الإلهي العلم المدني. وبدل على ذلك أيضا ما كان من علوم التعاليم أقرب إلى العلم الطبيعي مثل علم المناظر وعلم الموسيقى وعلم الحيل. فهذه لما كانت أقرب إلى العلم الطبيعي من العدد والهندسة صار كل واحد منها فيه أو في مبادئه من العسر والاختلاف على حسب قربه من العلم الطبيعي. والعدد لما كان في غاية البعد عن العلم الطبيعي لم يكن في شيء منه عسر أصلا، فذلك لم يقع فيه اختلاف أصلا، والهندسة ففي بعض مبادئها عسر سيسر على قدر انحطاطها عن رتبة العدد في البعد عن المادة، ثم علم النجوم أعسر كثيرا من الهندسة والاختلاف فيه أكثر، ثم علم المناظر وبعد ذلك علم الموسيقى وعلم الحيل وخاصة في مبادئ هذه...فأن هذه العلوم الثلاثة لا يمكن أن يوقف على الحق فيها أو يتقدم تشكيك جدلي قبل النظر فيها بالطريق العلمي... وذلك لأن ما في هذه العلوم إما أمور مقترنة بمواد...فلذلك صارت هذه يوجد لها المتضادات معا."(24) (الفارابي، 1986، ص ص 33_34).

لعلّ جوهر فلسفة العلوم أو الإبستومولوجيا الفارابيّة، هو ما عبّر عنه كتاب "إحصاء العلوم"، الذي أفرده المعلم الثاني، تفصيلا للقول الممكن بشأن تصنيف العلوم والصناعات. فضلا عن كونه محاولة في رسم حدود ومجال العقل في مستوييه: النظري والعمليّ (25) (الجابلي، أكتوبر 2018، m.mominoun.www). هذا تساوقا مع قوله: " قصدنا في هذا الكتاب أن نحصي العلوم المشهورة علماً علما، ونعرف جمل ما يشتمل عليه كلّ واحد منها، وأجزاء كلّ ما له منها أجزاء، وجمل ما في كلّ واحد من أجزائه." (26) (الفارابي، 1996، ص 15). وتبعا لذلك، نُلفي لدى الفارابي، تثمينا لمزايا كتابه: "الإحصاء"، من جهة صلاحياته الإبستمولوجيّة، مشدّدا في ثنايا ذلك على قيمته الإجرائيّة، البيداغوجيّة أو الدّيداكتيكيّة، بشكل لافت، وهو سبق لا نعثر عليه في باقي مؤلفاته الأخرى. هذا مصداقا لقوله: "وبهذا الكتاب يقدر الإنسان على أن يقايس بين العلوم، فيعلم أيّها أفضل وأيّها أنفع وأيّها أتقن وأوثق وأقوى، وأيّها أوهن وأوهى وأضعف"(27) (الفارابي، 1996، ص 16).

ويضيف في ذات الإطار، "وينتفع بما في هذا الكتاب، لأنّ الإنسان إذا أراد أن يتعلم علما من هذه العلوم وينظر فيه علم على ماذا يقدّم وفي ماذا ينظر وأيّ شيء سيفيد بنظره وما غناء ذلك وأيّ فضيلة تنال به، ليكون إقدامه على ما يقدم عليه من العلوم على معرفة وبصيرة لا على عمى وغرر"(28) (الفارابي، 1996، ص 16). ولأمر كهذا، نفهم وجاهة تقريظ "صاعد الأندلسي" لهذا المؤلف، بقوله: "ثمّ له كتاب شريف في إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها لم يسبق إليه، ولا ذهب أحد مذهبه فيه، ولا يستغني طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به وتقديم النّظر فيه". (29) (صاعد الأندلسي. أورده الجابلي، أكتوبر 2018، m.mominoun.www).

لقد اهتم أرسطو بتصنيف العلوم فقسمها إلى نظرية وعملية، وقسم النظرية إلى ثلاثة هي الطبيعة والرياضة والإلهيات. وقسم العملية إلى ثلاثة علوم أيضا وهي علم الأخلاق، وعلم السياسة المدنية والفن. والفرق بين أرسطو والفارابي هو أن الأول وضع أساسا لتصنيف العلوم لم يبن عليها الفارابي إحصاءه. لقد قال أرسطو إن

DOI: https://doi.org/10.33193/eJHAS.11.2023.287

ISSN online: 2791-2272 ISSN print: 2791-2264
مجلة العصر للعلوم الانسانية والاجتماع
Era Journal for Humanities and Sociology
www.ejhas.com editor@ejhas.com
Volume (11) December 2023 العدد (11) ديسمبر 2023

الفرق بين النظري والعملي هو أن النظري يعلم فقط، أما العملي فيعلم ويعمل به. وقال إن الفرق بين علم الطبيعة والرياضة والإلهيات يرجع إلى الموضوع، فموضوع العلم الطبيعي الجوهر المحسوس المتحرك وموضوع علم الرياضة الجوهر المحسوس غير المتحرك وموضوع العلم الإلهي الجوهر اللامحسوس واللامتحرك.

إذ من شأن هذا التصنيف أن يعيّن العلم الذي سوف يتكفل بمهمّة تحصيل السّعادة، وكذلك منزلته بين العلوم الأخرى وهو ما يستلزم إحصاء لمجمل العلوم والصناعات من أجل الوقوف على موضوع كلّ منها، وكذلك على السبيل الذي سوف يؤدي غرض وغاية كلّ علم على حدة. إن الغاية من ذكر العلوم ليست الإحصاء والإحاطة بوجود هذه العلوم وموضوعاتها. أما الغاية فهي التأكيد على أن هذه العلوم هي سبب السعادة الحقة أي المعرفة العقلية الفلسفية التي توفر للمرء أسمى أنواع اللذة. وهذه هي المهمّة المنوطة بعهدة الفارابي من خلال انجازه لرسم تخطيطي يتمّ وفقه إنتاج، وترتيب العلوم. لم يعتمد الفارابي في إحصاء العلوم على مبدأ العرض التاريخي الذي يرتب العلوم من جهة ظهورها وتطورها كما يتجلى في كتاب "الحروف"، وإنما يزاوج بين أسلوب العرض النسقي الذي يحدد مراتب العلوم في شكل جدول منطقي وبين أسلوب العرض التعليمي الذي لتلك المراتب في شكل برنامج تعليمي كما أكد على ذلك جون جوليفاي.(30) (Jolivet، 1996 ,270_P255) ذلك لأن جملة الأهداف التي حددها الفارابي لهذا الكتاب منذ التمهيد هي أهداف ذات طبيعة بيداغوجية بالأساس. في نهاية "التنبيه على سبيل السعادة" يشير الفارابي إلى أن الترتيب الصناعي التعليمي يقتضي أن يتقدم علم اللسان على علم المنطق وهو الأمر الذي أقره الفارابي في إحصاء العلوم، والعلوم المقصود إحصاؤها هي العلوم المشهورة.

يعتبر الفارابي "أن المنطق علم مدخل أو آلة تسبق العلوم الأخرى، باستثناء علم اللسان، أما الرياضيات فتكون بعد المنطق لأنها أسهل على الإنسان وأحرى ألا تقع فيها حيرة الذهن واضطرابه. ثم ينتقل المتعلم إلى الطبيعيات ومنها إلى الإلهيات. وعلى هذا النحو لا تقود الرياضيات إلى الميتافيزيقا وإنما إلى الفيزياء. والذي ينبه العقل إلى الموضوع الإلهي هما مبحثان من مباحث علم الطبيعة، وهما علم الفلك وعلم النفس فكلاهما يقتضي تدخل المبدأ الإلهي". (31) (الفارابي، 1983، *ص ص* 129_143)

صنف الفارابي العلوم في تقسيم الكتاب إلى خمسة فصول: فصل يتحدث عن علم اللسان، وثان يتناول المنطق، وثالث يبحث في علوم التعاليم، ورابع يشمل العلم الطبيعي والإلهي، ويحشر فيه العلم المدني وعلم الفقه وعلم الكلام. هناك فرق بين الفارابي وأرسطو هو أن الفيلسوف اليوناني لم يجعل المنطق أحد العلوم وإنما اعتبره آلة العلوم. أما الفارابي فقد أحصاه في جملة العلوم والإسم الذي أطلقه أرسطو على المنطق يدل على آلة العلم وليس العلم ذاته، وذلك الإسم هو Organon أي الآلة. في الفصل الثالث من "إحصاء العلوم" يتناول الفارابي علم التعاليم، وهو يطلق هذا الإسم على مجموعة من العلوم الرياضية والطبيعية. فمن العلوم الرّياضية يذكر علمي العدد والهندسة، أما الجبر فيجعله من فرعا علم الحيل. ومن العلوم الطبيعية يذكر علم المناظر، وعلم النّجوم التعليمي، وعلم الموسيقى، وعلم الثقال والحيّل. ثم إنه يجعل علم الموسيقى وهي فن جميل في عداد علم التعاليم.

يؤكد الفارابي أهمية الصناعة في الموسيقى، فهو ينحو منحنى تجريبيا، فضلا عن أنه يصعد بالموسيقى إلى ما هو عقلي، إذ كان يعتقد بأولوية الفطري فيها. "لم يكن التعارض في النظرية الموسيقي بين المنحنى التجريبي ذي الامتداد الجمالي والمنحنى التأملي ذي الامتداد الميتافيزيقي غائبا عند الفارابي. بل إن المعلم الثاني لم يكشف عن نحو النظر في الموسيقى بالحقيقة إلا بعد التمييز الدقيق بين طريقة "آل أرسطقسانس" وطريقة "آل فيتاغورس" من حيث هما طريقتان متعارضتان." (32) (الفارابي، 1983، *ص* 87) يرجع التعارض إلى طبيعة الموجود الموسيقي ذاته: فمن شأنه أن يكون محسوسا بديهي الحضور (لذة الجميل) ومن شأنه أن يكون معقولا يقيني الصورة (حقيقة البرهان الرياضي) ومن شان المعقول منه أن يكون مطابقا للمحسوس، ومن شأنه أن يكون مخالفا له.

المبحث الرابع: الفارابي منزلة علم الموسيقى ضمن منظومة العلوم

إن فلسفة الموسيقى في تقدير الفارابي، تتبلور من دون مقدّمات ميتافيزيقيّة. ومن هنا، بمستطاعنا تقصي طبيعة المنزلة التي حظيت بها الموسيقى في منظومة العلوم ضمن العلوم التعليميّة، حيث أنّ أبا نصر، لا يعتمد في

DOI: https://doi.org/10.33193/eJHAS.11.2023.287

ISSN online: 2791-2272 ISSN print: 2791-2264
مجلة العصر للعلوم الانسانية والاجتماع
Era Journal for Humanities and Sociology
www.ejhas.com editor@ejhas.com
Volume (11) December 2023 العدد (11) ديسمبر 2023

وصفها بثنائيّة الأصول والفروع، وإنما يذهب إلى أن علم التعاليم ينقسم إلى سبعة أجزاء كبرى تحتلّ الموسيقى فيها الجزء الخامس، ويميّز الفارابي داخل هذه الأجزاء بين بعد عمليّ وبعد نظري. ولكن هذا الترتيب الذي يجعل الموسيقى جزءا خامسا قبل الثقال والحيل لمؤشر دال على اعتبار صناعة الموسيقى النظريّة لدى الفارابي درجة دنيا من درجات العلم الرياضي وهو في ذلك أرسطيّ المنزع أو التوجّه. لم يكن هذا المنحى هو ولم المتداول والمشهور زمن الفارابي. (33) (الجابلي، أكتوبر 2018، m.mominoun.www).

اهتمام الفارابي بصناعة الموسيقى تحصيلا وتعليما، اهتمام لازمه طوال مسيرته الفكريّة. وهذا يقتضي النظر في طبيعة العلاقة القائمة بين علم الموسيقى بوصفه معرفة نظرية وفن الموسيقى بوصفه صناعة إنشائية، هذا هو الذي جعل الفارابي قادرا على الجمع بين الفيثاغورية والأرستوكسانية من التأكيد على الطابع النظري لعلم الموسيقى باعتبارها عاملا رياضيا جزء من الفلسفة النظرية. يقول الفارابي: "وإلا فإن التعاليم تفحص عن كثير من الأشياء التي من شأنها أن تفعل بالإرادة مثل علم الموسيقى وعلوم الحيل وكثير مما في الهندسة والعدد علم المناظر. وكذلك العلم الطبيعي يفحص عن كثير من الأشياء مما يمكن أن يفعل بالصناعة والإرادة. وليس ولا واحد من هذه العلوم أجزاء من العلم المدني، بل هو أجزاء من الفلسفة النظرية إذ كانت إنما ينظر في هذه الأشياء لا من جهة ماهي قبيحة أو جميلة ولا من جهة ما يسعد الإنسان بفعلها أو يشقى." (34) (الفارابي، 1986، ص 68).

لا تنظر الموسيقى النظرية في التناغم والإيقاع باعتبارها طبائع قائمة بذاتها. فهي توجد بالصناعة والإرادة وليس من شأنها أن توجد بالطبيعة. يستند الفارابي في النظرية الموسيقية إلى الإقرار بإمكانية حصول معرفة نظرية (علم) بصناعة إنشائية (فن) هي الموسيقى. قسم الفارابي علم الموسيقى إلى خمسة أقسام: "القسم الأول هو القول في المبادئ والأوائل التي من شأنها أن تستعمل في استخراج ما في هذا العلم وكيف الوجه في استعمال تلك المبادئ وبأي طريق تستنبط هذه الصناعة ومن أي الأشياء من كم تلتئم وكيف ينبغي أن يكون الفاحص عما فيهما. والقسم الثاني القول في أصول هذه الصناعة وهو القول في استخراج النغم وكم عددها وكيف هي وكم أصنافها. والقسم الثالث القول في مطابقة ما تبين في الأصول بالأقاويل والبراهين على آلات الصناعة التي تعد بها وإيجادها كلها فيها. أما القسم الرابع فتناول القول في أصناف الإيقاعات الطبيعية وهي أوزان النغم، والقسم الخامس خصص في تأليف الألحان في الجملة ثم تأليف الألحان الكاملة وهي الموضوعة في الأقاويل الشعرية المؤلفة على ترتيب ونظام." (35) (الفارابي، 1996، ص ص 106-107)

في المحصّلة إذا، أنّ الموسيقى هي الجزء الخامس من التعاليم وهي علمان: أحدهما علم الموسيقى العمليّة والثاني علم الموسيقى النظريّة. أما الموسيقى العملية فهي كما توحي التسمية إحداث الألحان بأدائها أو صياغتها. والصناعة التي يقال إنها تشتمل على الألحان، منها ما اشتمالها عليها أن توجد الألحان التي تمت صياغتها محسوسة للسامعين، ومنها ما اشتمالها عليها أن تصوغها وتركبها وإن لم تقدر على أن توجدها محسوسة. "فالموسيقى العملية هي التي شأنها أن توجد أصناف الألحان محسوسة في الآلات التي إليها أعدت إما بالطبع أو بالصناعة...والنظرية تعطي علمها وهي معقولة، تعطي أسباب كل ما تألف منه الألحان لا على أنها في مادة بل على الإطلاق، وعلى أنها منتزعة عن كل آلة ومادة، وتأخذها على أنها مسموعة على العموم ومن أي آلة اتفقت ومن أي اتفق." (36) (الفارابي، 1996، ص 61).

فإذا كان انتصار الفارابي لأصحاب الصناعة التقليدية ضد الحديث من مقلدي القدماء، إنما هو انعكاس لإقراره بتقدم المحسوس الجمالي على المعقول الرياضي ورفعه للذة الجمالية على المعقول الرياضي ورفعه للذة الجمالية إلى مقام القيمة المعيارية والمبدأ المميز بين ما هو طبيعي للإنسان وبين ما هو غير طبيعي من النغم والإيقاعات، اعتراضه على طريقة آل فيثاغورس وعلى طريقة آل أرسطقسانسّ، واختياره في مقابل ذلك لطريقة أخرى مغايرة، إنما يعكس طبيعة المشروع الذي أسس له فجعل كتابته في الموسيقى كتابة متجددة لا كتابة مقلدة. (37) (العيادي، 2018، ص 55)

DOI: https://doi.org/10.33193/eJHAS.11.2023.287

ISSN online: 2791-2272 ISSN print: 2791-2264
مجلة العصر للعلوم الانسانية والاجتماع
Era Journal for Humanities and Sociology
www.ejhas.com editor@ejhas.com
Volume (11) December 2023 العدد (11) ديسمبر 2023

يذهب المنظرون المسلمون كما يذهب نظراؤهم من الأوروبي في العصور الوسطى إلى أن الموسيقى تنتمي إلى العلوم الرياضية، لقد دأب الفلاسفة ذو الميل الفيثاغوري على اعتبار الرياضيات أربع فصول هي: العدد والهندسة والنجوم والموسيقى. فقد ميز إسحاق بن يعقوب الكِنْدِي في "رِسَالَةُ في المصوتات الوترية" "بين قديم الفنون الأربعة من منطلق التمييز بين العلمي والعملي وإظهار أسرار علم الطّبيعة في المحسوس حين يقول: "إن عَادَةَ الفَلَاسِفَةِ كَانَتْ الارْتِيَاضُ بِالعِلْمِ الأَوْسَطِ، بَيْنَ عِلْمٍ تَحْتَهُ وَعِلْمٍ فَوْقَهُ. فَأَمَّا الَّذِي تَحْتَهُ فَعِلْمُ الطَّبِيعَةِ وَمَا يَنْطَبِعُ عَنْهَا، وَأَمَّا الَّذِي فَوْقَهُ فَيُسَمَّى عِلْمَ مَا لَيْسَ مِنَ الطَّبِيعَةِ، وَتَرَى أَثَرَهُ فِي الطَّبِيعَةِ. وَالعِلْمُ الأَوْسَطُ، الَّذِي يَتَسَبَّلُ إِلَى عِلْمِ مَا فَوْقَهُ وَمَا تَحْتَهُ يَنْقَسِمُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ وَهْيَ: علم العدد والمعدودات وهو الأَرِثْمَاطِيقِي وعلم التأليف وهو علم الموسيقى وعلم الجاومطرقية وهو الهندسة وعلم الأسطرنومية وهو التنجيم". (38) (الكِنْدِي، 1962، 4http://www.saramusik.org)

إنّ الملاحظة التي ينبغي تسجيلها تخصّ منزلة العلوم التعاليميّة، على نحو ما وردت في كتاب "الإحصاء"، إذ تبرهن من جهتها على أنّ ما قصد إليه المعلم الثاني فيه لم يكن مشهورا. فالمنزلة التي استقرّت لعلوم التعاليم وأضحت مشهورة زمن الفارابي هي منزلتها كعلم وسط بين علم أدنى هو الطبيعيّات وعلم أعلى هو الإلهيّات، ويتجلى ذلك سابقا مع الكندي وإخوان الصّفاء ثم بعديا مع ابن سينا وغيرهم. (39) (الجابلي، أكتوبر 2018، ص2، m.mominoun.www). والملاحظ أن هذه المنزلة الوسطى للرياضيات" تستقي إرهاصاتها ومطلقاتها الأولى من التصور الأفلاطوني، كما اتخذت منحا أرسطيا خالصا فيما يتصل"بالمفردات الدّالة عنها رأسا. "وبالتالي، ليس من الإجحاف في شيء، القول، إذا سلمنا جدال أن القراءة المشائيّة العربيّة قراءة أفلاطون لأرسطو، سيّما من جهة المضمون، وكانت الأفلاطونية المحدثة العربيّة، قراءة أرسطية لأفلاطون منهجا ومفهوما، فإن التداخل بين القراءتين يتمظهر تحديدا في مستوى المنزلة الوسطى. التي استقرت عليها التعاليم وأضحت بالتالي مشهورة في الإبستيميةّ الوسيطة، خاصة مع الفارابي". (40) (العيادي، 2008، ص92 أورده الجابلي، أكتوبر 2018، m.mominoun.www).

لا تتصف الموسيقى النظرية بصفة العلم اتصافا تاما وذلك لأنها تنتسب إلى الدرجة الدنيا من درجة التجريد الرياضي، إلا أن الفارابي يضع علم الموسيقى في إطار محدد هو إطار المعرفة النظرية أي المعرفة التي يكون مطلوبها هو اليقين. يستند الفارابي في النظرية الموسيقية إلى الإقرار بإمكانية حصول معرفة نظرية علم بصناعة إنشائية، فالإبستيمية التي عاصرها تتميز إجمالا بوجود توجه عام يسعى إلى رفع بعض الفنون إلى مرتبة المعرفة العملية بما في ذلك فن الموسيقى. يقيم الفارابي بين الموسيقى النظرية(العلم) والموسيقى العملية علاقة متعددة الأبعاد والمستويات. لم يظهر فن الموسيقى مكتملا منذ البداية، وإنما مر بمراحل مختلفة: "مرحلة حدوث الصنائع بالطبع، ومرحلة حدوثها بالإرتياض العملي والتعليم" (41) (الفارابي، دون تاريخ، ص ص 70_ 81). ويمكن القول أن المرور من الممارسة الطبيعية للموسيقى إلى الممارسة الصناعية يمثل انتقالا حاسما نحو السيطرة على قوانين الألحان وتقنينها وتعليمها. وهذا التطور في نمط ممارسة الموسيقى الفن من الطبع إلى التملك الصناعي يعتبر تطورا في اتجاه اكتمال الموسيقى.

إن موضوع الموسيقى هو النغم والألحان الحادثة بفن الموسيقى لا الموجودة بالطبيعة كما توهم الفيثاغوريون، ولما كانت المبادئ الأولى لعلم الموسيقى مبادئ تجريبية، وكانت التجربة لا تلتئم إلا بإحساس أشخاص الموجودات (النغم، الألحان، الإيقاعات)، فكانت هذه الموجودات لا تحدث إلا بالصناعة الإنشائية (الفن)، فإن العلم النظري بالموجود الموسيقي مشروط إذن بالإنشاء الصناعي لهذا الموجود ومحدود ومطبوع بطبائعه. ولا يمكن أن يظهر علم الموسيقى ما لم يكتمل فن الموسيقى، وذلك لأن وجود الموضوع (الموجود الموسيقي) ينبغي أن يكون متقدما بالعلم به (العلم الموسيقي). فظهور الموسيقى بالممارسة الفنية متقدم إذن على العلوم الموسيقية. بل إن اكتمال الفن شرط أساسي من شروط إمكان العلم. إن استنباط علم الموسيقى النظري لا يكون ممكنا إلا إذا اكتملت صناعة الموسيقى العملية. (42) (العيادي، 2018، ص 40).

DOI: https://doi.org/10.33193/eJHAS.11.2023.287

ISSN online: 2791-2272 ISSN print: 2791-2264
مجلة العصر للعلوم الانسانية والاجتماع
Era Journal for Humanities and Sociology
www.ejhas.com editor@ejhas.com
Volume (11) December 2023 العدد (11) ديسمبر 2023

ترتبط الموسيقى بعلوم مختلفة حسب الفارابي، "والناظر في صناعة الموسيقى، إنما هو ينظر في علوم عدة، وموضوعات منها متشعبة، فالنغم ومقاديرها ومناسباتها واقتراناتها وخصائصها، موضوعات في العلوم الطبيعية، تم أجزاء الأقاويل التي تقرن بالنغم وأوزانها وأجناسها تزحيفاتها وما يعرض لها، موضوعات في علوم اللغة، فتتميز الألحان تبعا لافتراق اللغات ولهجاتها وطرائق تلحينها، وقد تتعلق صناعة الموسيقى بعلوم أخرى لاتجاهيها في المادة أصلا كالطب." (43) (الفارابي، دون تاريخ، ص 90). ومبادئ العلم بهذه الصناعة تتأثر أو تختلف تبعا لاختلاف عنصرين أساسين: المناسبة العددية بين تمديدات النغم في اقتراناتها ومتواليات أجناسها اللحنية، والثاني المناسبة اللفظية بين أجزاء الأقاويل التي بها تقرن النغم.

ينقسم العلم بصناعة الموسيقى إلى قسمين: القسم الأول أصول وهي فنون الصناعة اللحنية. وتشتمل على مجموعة من العلوم الواقعية في الألحان، تنظر في الأصوات والنغم الطبيعية ومناسبات التأليف والاتفاقات وأجناس الإيقاع ومحاسن الألحان وما يتبعها ويلزمها، وهي أكثر ذلك خمسة علوم، قد تبدو منفصلة في موضوعاتها، غير أنها تتصل ببعضها لزوما في الألحان الإنسانية حيث يكمل بعضها بعضا وهي: علم المناسبات الصوتية: موضوعه النغم وترددات أوتارها، والأبعاد الصوتية ونسبها وأجناس تأليفها، وأعداد حدودها في المتواليات وأنواعها وملائمات النغم في اتفاقاتها وكل ما يتعلق بالنغم وكمياتها مفردة أو مجتمعة. علم التأليف والتحليل، ويختص بتعريف أنواع الجموع اللحنية ورتبها وأجناسها، والتوافيق والتباديل بين نغمها، وتحليل الجماعات إلى أصغر أجزاءها، ومواقع الانفصالات والانتقالات بين النغم. (44) (الفارابي، دون تاريخ، ص ص 21_ 23).

ويضيف الفارابي علم مقامات الألحان وهو علم طبوع الألحان الجزئية التي تندرج نغمها الأساسية في جماعة معينة، وتعيين أجناس التأليف التي تتحكم في طبقاتها التي تتقيد بها مزامير الحنجرة عند الأداء في طريقة ما. ومقام اللحن هو مذهب نغمة وتوسطها ونهاياتها في طبقة الصوت. وعلم الإيقاع يختص بنظم اللحن في طرائق ضابطة لأجزائه على أزمنة معنية تقاس عليها الأصوات في مواضيع الشدة واللين. وتفصل الإيقاعات أجناس في دوائر زمنية، تسمى الأصول، أصغرها ثنائي الحركات. أما علم التلحين فهو يختص بمطابقة أجزاء الأقاويل مع أجزاء المقترنة بها، وتزيين الألحان عند بدايتها وتوسطها ونهاياتها وتحسين إيقاعاتها. وهذه العلوم مع ما يلحقها أو يعرض لها، يجب أن تحيط موضوعاتها بجميع أسباب المعرفة بصناعة الموسيقى النظرية في الألحان.

سلك المعلم الثاني الفيلسوف الفارابي مسلكاً مغايراً عن أبحاث الكندي، فيطلق على هذه الأجناس الموسيقية اسم "البعد الذي بالأربعة" بنوعيه الأسفل والأعلى: "الذي يحيط بأربع نغم tétracorde من المتجانسات اللحنية والنسبة بين طرفيه بالحدين 4/3 وهو أصغر الأبعاد التي تحيط بأقل أبعاد النغم المتجانسة." (45) (الفارابي، دون تاريخ، ص ص 144_ 230). مع أنه في مكان آخر يطلق عليها اسماً مغايراً هو "الطرائق: وهو مما تنتظم به الألحان"(46) (الفارابي، دون تاريخ، ص 885). التي تتكون من عدة أجناس موسيقية، في اختلاف فكري ومعرفي عن سابقيه من أعلام الفكر الفلسفي القديم كما فعل أيضاً الشيخ الرئيس "ابن سينا" الذي أطلق عليها اسم "الجماعات" في موسوعته الشهيرة "الشفاء" حين يقول: "الجماعة جملة أبعاد لحنية، أكثر من جنس واحد، تفرض في النفس، ومخارجها في الآلة تستعمل في تأليف اللحن بإخراجها بالفعل، متكررة ومتعاقبة." (47) (ابن سينا، تحقيق يوسف، 1956، ص 63)

يمكن القول كما أوضح سالم العيادي (48) (العيادي، 2018، ص 40)، أن الفارابي يضع علم الموسيقى في إطار محدد هو إطار المعرفة النظرية أي المعرفة التي يكون مطلوبها هو اليقين. إن التنصيص على هذا الإطار أهمية بالغة كما يظهر ذلك في كتاب الموسيقى الكبير. وذلك لأن القول بأن اليقين العلمي ممكن في شأن الموجود الموسيقي يفترض الإقرار بأن لهذا الموجود من الخصائص ما يؤهله لكي يكون موضوعا ممكنا لمعرفة علمية. وهذه الخصائص يمكن إجمالها في أن الموجود الموسيقي مكتمل بحيث يمكن لنا إدراكه، وأن سبب وجوده ليس أمر اعتباطي ولا مجرد اتفاق محض أو مصادفة عمياء وأن وجوده لا يمكن هو نفسه على غير ما حصل عندنا: أي أن في الموجود الموسيقي ضرورة ما تتجاوز حدود الفن وتحدده على نحو مسبق. ويمكن القول إجمالا إن

DOI: https://doi.org/10.33193/eJHAS.11.2023.287

ISSN online: 2791-2272 ISSN print: 2791-2264
مجلة العصر للعلوم الانسانية والاجتماع
Era Journal for Humanities and Sociology
www.ejhas.com editor@ejhas.com
Volume (11) December 2023 العدد (11) ديسمبر 2023

مبادئ الموسيقى النظرية مبادئ تجريبية وليست مبادئ عقلية بمعنى أن الطريق إلى تحصيلها تجريبي. والتجربة لا تلتئم إلى بإحساس "أشخاص الموجودات" (النغم والألحان والإيقاعات) الحادثة بصناعة الموسيقى العملية (الفن) وتقتضي التجربة أيضا اكتمال الفن الموسيقي من ناحية أولى، وإمكانية الاختبار التجريبي لكل ما أظهرته الأمم من المسموعات الطبيعية للإنسان من جهة أخرى.

الخاتمة

من المعلوم أن الموسيقى العربية كانت قد تعرفت مبكراً على المقامات البسيطة من خلال أبحاث الموسيقى الإغريقية لتتأسس بذلك أول مؤسسة موسيقية عربية اعتمدت بشكل أساسي على الكتابات العلمية المتقدمة لتضع الموسيقى العربية في مسارها وتوجهها ضمن البعد الرياضي المنهجي لتصبح الموسيقى أحد العلوم الرياضية "علم التأليف". إن أقدم الرسائل العلمية في الموسيقى العربية التي تبحث بشكل منهجي في نشأة وتطور السلم الموسيقي العربي هي رسائل ومؤلفات الفيلسوف العربي "الكندي" حيث ساهمت دون أدنى شك في تأطير الممارسة الموسيقية في عصره حول موضوع السلم الموسيقي.

تطرق الكندي في أغلب رسائله لدراسة آلة العود فضلا عن أنه خصص رسالة كاملة لشرح تركيبة هذه الآلة وعللها الفلكية والعددية والنجومية إضافة إلى الطرق البيداغوجية لتدريسها. وتوصل من خلال هذه الأبحاث إلى عدة نتائج كانت نقطة انطلاق استند عليها العديد من الفلاسفة الذين تلوه. فمنهم من نسج على منواله في وصف آلة العود مثال إخوان الصفا الذين اكتفوا بذكر الشكل العام لآلة غير أنهم اختلفوا معه في ذكر مادة صنع الأوتار فأشاروا إلى أنها كانت تصنع كلّها من ابريسم على خلاف عصر الكندي الذي كان يصنع البم والمثلث من معاء والمثنى والزير من ابريسم. ومنهم من استند على ما توصل له الكندي لينطلقوا منه ويواصلوا البحث في هذا الميدان. كما يذكر أنّ الكندي كان الوحيد الذي أشار إلى العلاقة الموجودة بين الفلك والموسيقى من خلال طرحه للعلاقة بين أوتار آلة العود والعلل النجومية، حيث كان الموضوع الذي تميز به الكندي من سائر علماء عصره والعصور اللاحقة مثل الفارابي وابن سينا وصفي الدين الأرموي. والجدير بالقول هنا أنّ هذه النتائج التي توصل لها الكندي جعلت بعض العلماء يصنفونه ضمن المدرسة الطنبورية مما يشير إلى أنه كان سباقا لعصره. (49) (Guettat، أورده كمون، ص 9)

كان لهذه الأعمال عظيم الأثر في ارتقاء الحياة الموسيقية العربية وفي تثوير الفكر الموسيقي بعطاءات مهمة انعكست على الكتابة والبحث في السلم الموسيقي وفي منظومته المقامية رياضياً وذوقياً. أشاد ماكس فيبر بمساهمة العرب في تطوير الموسيقى، خاصة، في تجديد الأنساق الصوتية من خلال تجديد في الآلة الموسيقية وكذا التجديد في اللحن، حيث يقول إن "العود كان حسب ما هو متوارث مؤلفا من أربعة أوتار ثم أضيف إليه وثرا خامسا...وبهذا كان للعرب كل الأبعاد العقلانية واللاعقلانية لنسق الصوت على آلة العود" (50) (فيبر، 2013، أورده بن ملوك، يوليوز، 2019، https://www.mominoun.com/articles/6674.) لكن رغم ذلك، فإنها لم تصل إلى مستوى العقلنة، وذلك لارتباطها، كما قال الفارابي، بالانفعالات وليس بالتعقل، ولارتباطها من جهة ثانية بموسيقى البلاط، أي إنها لم تشع كثقافة اجتماعية. ومن الأسباب التي أدت إلى تعثر الموسيقى العربية حسب فيبر، هو ضياع التدوين الموسيقي، وفي ذلك يقول: "إن الموسيقى العربية الحديثة مثلا، على الرغم من أنها موضوع معالجة نظرية، إنما هي في المرحلة الطويلة منذ الاجتياح المغولي خسرت تدريجيا نسقها التدويني القديم، حتى أصبحت فاقدة للتدوين تماما." (51) (فيبر، 2013، أورده بن ملوك، يوليوز، 2019، https://www.mominoun.com/articles/6674.)

يمكن القول أن مبحث الموسيقى هو مبحث فلسفي وعلمي، اتخذ مع الفارابي شكلا جديدا كل الجدة. بل يمكن القول أنه اتخذ أيضا شكلا متفردا لا نظير له وهذا ما عبر عنه هنري كوربان. لقد ترك الفارابي كتابا كبيرا في الموسيقى يشهد له بمعارفه الرياضية، وهو بدون شك كان الأكثر أهمية في العصور الوسطى. إلا أنه يجب انتظار منتصف القرن التاسع عشر لظهور التأسيس الفعلي لعلم الموسيقى أو الموسيقولوجيا التي ستتفرع إلى

DOI: https://doi.org/10.33193/eJHAS.11.2023.287

ISSN online: 2791-2272 ISSN print: 2791-2264
مجلة العصر للعلوم الانسانية والاجتماع
Era Journal for Humanities and Sociology
www.ejhas.com editor@ejhas.com
Volume (11) December 2023 العدد (11) ديسمبر 2023

علوم وتخصصات متنوعة ومتشعبة، طورت مناهجها العلمية في الدراسة والتحليل وفق طبيعة الموضوع المدروس.

المراجع والمصادر

1. الأهواني، أحمد فؤاد. (2003). *الكندي فيلسوف العرب*. وزارة الثقافة المصرية والإرشاد القومي.
2. العيادي، سالم. (2018). *فلسفة الموسيقى عند الفارابي*. صفاقس: مكتبة علاء الدين.
3. _____. (2018). *فلسفة الموسيقى عند الفارابي*. بحث لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، إشراف د. فتحي التريكي، جامعة تونس.
4. ابن إسحاق، الكِنْدِي يعقوب. (1965). *رِسَالَةُ فِي اللُّحُونِ وَالنَّغَمِ*. بغداد: تحقيق زكريا يوسف. موسيقى الكندي. ملحق لكتاب مؤلفات الكندي الموسيقية. النسخة الإلكترونية، إعداد أنس غراب، المعهد العالي للموسيقى، سوسة http://www.saramusik.org
5. _____. (1962). *رِسَالَةُ في خبر التأليف*. بغداد: تحقيق زكريا يوسف. موسيقى الكندي. ملحق لكتاب مؤلفات الكندي الموسيقية. النسخة الإلكترونية، إعداد أنس غراب، المعهد العالي للموسيقى، سوسة http://www.saramusik.org
6. _____.(1962). *رِسَالَةُ في المصوتات الوترية*. بغداد: تحقيق زكريا يوسف. موسيقى الكندي. ملحق لكتاب مؤلفات الكندي الموسيقية. النسخة الإلكترونية، إعداد أنس غراب، المعهد العالي للموسيقى، سوسة http://www.saramusik.org
7. _____. (1961). *رسالة في أجزاء خبريّة في الموسيقى*. ملحق بكتاب "تاريخ الموسيقى الشرقية" لسليم لحلو. منشورات دار مكتبة الحياة. النسخة الإلكترونية. إعداد أنس غراب، المعهد العالي للموسيقى، سوسة http://www.saramusik.org
8. ابن سينا. (1956). *الشفاء، جوامع علم الموسيقى*. تحقيق زكريا يوسف. تصدير ومراجعة أحمد فؤاد الأهواني ومحمود أحمد الحنفي. القاهرة: المكتبة الأميرية.
9. الجابلي، سعيد. *الفارابي، مقالة في إحصاء العلوم والصناعات، من أجل أبستمولوجيا عربية هادفة* (منظمة المجتمع العلمي العربي مؤمنون بلا حدود، أكتوبر، 2018 m.mominoun.www)
10. الفارابي، أبو نصر. *كتاب الموسيقى الكبير*. القاهرة: تحقيق عطاس عبد الملك خشبة، الدكتور محمود أحمد الحنفي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، دون تاريخ.
11. _____. (1996). *إحصاء العلوم*. تقديم وشرح وتبويب علي أبو ملحم. دار ومكتبة الهلال.
12. _____. (1986). *كتاب الجدل والمنطق عند الفارابي*. الجزء الثالث. دار المشرق.
13. _____.(1983). *كتاب تحصيل السعادة، الأعمال الفلسفية*. تحقيق جعفر آل يسين. دار الأندلس.
14. بن ملوك، عادل. ماكس فيبر: *الموسيقى بوصفها "اكتمال" للعقلنة الأوروبية*. (مؤمنون بلا حدود. يوليوز 2019. https://www.mominoun.com/articles/6674)
15. بورتنوي، جوليوس. (2004). *الفيلسوف وفن الموسيقى*. الطبعة الأولى. ترجمة دكتور فؤاد زكريا، دار الوفاء لدنيا الطبع والنشر.
16. ريان، آيات. (2010). *فلسفة الموسيقى وعلاقتها بالفنون الجميلة*. الطبعة الأولى. القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.
17. زكريا، فؤاد. (1956). *التعبير الموسيقي*. الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة مصر، سلسلة الثقافة السيكولولجية.
18. عبد الرحمان، أشرف. (2015). *مدخل إلى نقد الموسيقى العربية*. القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.
19. كارويي أوطو. (2017). *مدخل إلى الموسيقى*. ترجمة ثائر صالح. دار نون.

DOI: https://doi.org/10.33193/eJHAS.11.2023.287

ISSN online: 2791-2272 ISSN print: 2791-2264
مجلة العصر للعلوم الانسانية والاجتماع
Era Journal for Humanities and Sociology
www.ejhas.com editor@ejhas.com
Volume (11) December 2023 العدد (11) ديسمبر 2023

20. غازي أسعد، شيماء. *الموسيقى عند إخوان الصفا المعنى والدلالات*. الفلسفة: الجامعة المستنصرية https://www.iasj.net/iasj?func=article&aId=124936
21. فيبر، ماكس. (2013). *الأسس العقلانية والسوسيولوجية للموسيقى*. الطبعة الأولى. ترجمة صقر حسن ومراجعة العميري فضل الله، المنظمة العربية للترجمة.
22. مهدي، كمون. الكندي وآلة العود (البعد الثلاثي للآلة الحكماء عند الكندي). https://bit.ly/3reUaNg
23. يوسف، زكريا. (1962). *موسيقى الكندي*. ملحق لكتاب مؤلفات الكندي الموسيقية. مطبعة الشقيق.

24. Jolivet Jean. (1996). Classification des sciences. In «Histoire des sciences arabes». Sous la Direction Roshdi Rashed. Tome III.
25. Meyer, Michel (dir.). (2006). Philosophie de la musique. Revue internationale de philosophie. vol.4, n°238.
26. Muller, Robert (dir.). (2013). Textes clefs de philosophie de la musique. Paris : Vrin.
27. Sève Bernard. (2006). L'instrument de musique comme produit et vecteur de la pensée. In La musique, un art du penser, ouvrage collectif dirigé par Nicolas Weill. Presses universitaires de Rennes.
28. Wolff, Francis. (2005). Pourquoi la musique ? Paris : Fayard.

DOI: https://doi.org/10.33193/eJHAS.11.2023.287